أبو الطيب المتنبي (ت354هـ)

لم يحظ شاعر من الشعراء العرب بالعناية والدراسة قديما وحديثا بقدر ماحظي به أبو الطيب المتنبي،ولعل شهرته في مملكة الشعر جاءت من جودة نظمه الذي يسحر القارئ،فضلا عن "أنه ينطق عن خواطر الناس" كما قال القاضي الفاضل.

سيرته:

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبدالجبار الجعفي الكندي الكوفي من أصل عربي قحطاني خالص النسب أبا وأما.ولد سنة ٣٠٣هـ في حي كندة بالكوفة ، وهو حي نزله المهاجرون من العرب الذين نزلوا أيام الفتوح، وهم من أصل يماني، نشأ فقيرا، عمل أبوه بالسقاية، وكان يسمى عيدانا، فقد هذا الأب ، تولت رعايته جدته لأمه وهي عربية همذانية.كان المتنبي:كبير النفس، بعيد الهمة.، ناقما على الذين حكموا ديار العرب من غير أهلها.

اسمه : أحمد بن الحسين ونسبه الجعفي الكندي مولده في الكوفة، ويلقب بشاعر العرب، وهو شاعر عباسي ولد سنة 303هـ. ولم يعش طويلًا فقد قُتل على يد الفاتك بن أبي جهل الأسدي في بغداد سنة 354هـ.كان المتنبي ولا زال نابغة من نوابغ العرب في اللغة والشعر، وقد اتخذه كثير من شعراء عصره حتى عصرنا هذا قدوة وانموذجا احتذوا به، وحاولوا التعلم منه والنهل من قدراته على صياغة اللغة واستخدام عباراتها وحسن نظمها، فكان شاعر العرب وأشعر الشعراء كما يقول بعض النقاد عنه.

كتب المتنبي الكثير من القصائد وله ديوان شعري يحوي معظم أغراض الشعر من مديح ورثاء وغزل وهجاء واعتداد بالنفس. واتسمت قصائده بالغموض في بعض الأحيان فهو يضمر فيها ما لا يظهره، فقد تكون قصيدة مدح يضمنها هجاء كما سنرى في شرحنا لقصيدته واحرّ قلباه.

شغلَ (المتنبي) الناسَ، وملأ الدّنيا بشهرته وعبقريته، والأهم من هذا وذاك أن ديوانه أحدثَ ثورةً في عالم النتاج الفكري والورقي، حيثُ خلّف قدراً ضخماً من كتب النقد والأدب والشروح والسرقات والموازنات والمعارك الأدبية امتدت عبر كل العصور، فلا يخلو عصرٌ من مصنّفاتٍ في شعر وشخصية المتنبي.

متى وُلدَ العداء للمتنبي؟ نظرة الاستشراق للمتنبي.؟ وقراءة ديوان المتنبي بعين غربية في عقل شرقي، وبعين شرقية في عقل غربي؟، وهل أن المتنبي وشعره خالٍ من العاطفة ؟ وهل ديوان المتنبي يفتقر للغزل؟ هل صحيح ما يضعه بعض المؤرخين والكتّاب شعر المتنبي وحياة المتنبي ضمن شعراء البلاط؟ أو أنه الشاعر النديم؟ وهل أن ديوان (المتنبي) هو سيرة ذاتية لحياة الشاعر فقط؟ بحثٌ يضجّ بتناقضات الآراء حول شخصية وشعر مختلفٌ فيه وعليه، ويظلّ السؤال، هل أن المتنبي ستتوقفُ الأسئلة عنه وفيه عند هذا الحد؟ أو عند هذا القرن أم ستستمر الأسئلة ويتم تثوير الجدل والحِجاج حوله في القابل من السنين والعصور؟

أن ديوان المتنبي، لم يكن ديوان شعرٍ يمكن أن ندرس فيه الجوانب اللغوية والبلاغية والنقدية فحسب، بل هو كتاب تاريخ ، شاهدٌ على أحداث ومواقع وشخصيات تاريخية لم تذكرها الكتب، وكتابُ جغرافية ، يرسم خرائط تنقلاته ورحلاته ، وكتاب اقتصاد ، يذكر فيه حال العامة والخاصة وأحوال التجارة ، وكتاب

جغرافية ، يرسم خرائط تنقلاته ورحلاته ، وكتاب اقتصاد ، يذكر فيه حال العامة والخاصة وأحوال التجارة ، وكتاب اجتماع، تجد فيه أحوال الرعية وأحوال الطبقة الخاصة، كتاب حياة متكاملة تنطق في كل عصر، وتعبّر بعد أكثر من ألف سنة عن حال العصر الذي يُقرأ ويُدرسُ ويبحثُ فيه، حتى أضحى المتنبي صورةً وشعراً، قناعاً يضعه الأدباء والكتّاب والمفكرين في كل عصر.

من أشعاره:

واحرَّ قَلباهُ مِمَّن قَلبُهُ شَبِمُ وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

مالي أكَتِّمُ حُبّاً قَد بَرى جَسَدي وتَدَّعي حبَّ سيفِ الدَولَةِ الأمَمُ

إن كانَ يَجمَعُنا حبٌّ لِغُرَّتِهِ فليتَ أنَّا بِقَدْرِ الحبِّ نَقتسِـــــمُ

قَد زُرتُهُ وسيوفُ الهندِ مُغمَدَةٌ وقد نظرتُ إليه والسُـــيوفُ دَمُ

فَكانَ أحْسنَ خَلق الله كلِّهِمُ ... وكانَ أحسنَ مافي الأحسَنِ الشّيَمُ
أكُلَّما رُمتَ جيشاً فانْثَنى هَرَباً ... تَصرَّفَت بكَ في آثارِه الهِـــمَمُ
يا أعدلَ الناسِ إلا في معامَلتي ... فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً ... أن تَحْسبَ الشَّحمَ فيمَن شَحْمُهُ وَرَمُ
وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِهِ ... إذا استوَت عندَهُ الأنوارُ والظُّـــلَمُ
سيَعلَمُ الجمعُ ممَّن ضمَّ مَجلسُنا ... بأنَّني خيرُ مَن تســـــعى بهِ قَدَمُ
أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسْمعَت كلماتي مَن بهِ صَـــمَمُ
أنامُ مِلْءَ جُفُوني عن شوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخلقُ جرَّاها وَيَختَصِـمُ
الخيلُ والليلُ والبيداءُ تَعْرِفُني ... والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقَلَمُ

ومن أشعارِهِ:

على قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ... وتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها ... وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ
يُكَلِّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ ... وَقَد عَجَزَت عَنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ
وَيَطلِبُ عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفسِهِ ... وَذَلِكَ مالا تَدَّعيهِ الضَراغِمُ
يُفَدّي أَتَمُّ الطَيرِ عُمراً سِلاحُهُ ... نُسورُ المَلا أَحداثُها وَالقَشاعِمُ
وَما ضَرَّها خَلقٌ بِغَيرِ مَخالِبٍ ... وَقَد خُلِقَت أَسيافُهُ وَالقَوائِمُ

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ
بَناها فَأَعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ
وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فَأَصبَحَت وَمِن جُثَثِ القَتلى عَلَيها تَمائِمُ